ندوة وطنية: السرد النسوي العربي يوم 07 جويلية 2022.

الجهة المنظمة: جامعة خنشلة.

عنوان المداخلة: واقع الذَّات الأنثوية في الرواية النّسائية بين الصوت والصمت.

الدكتورة حميدة قادوم/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

البريد الإلكتروني: gadoum.hamida@hotmail.fr

ملخص:

تبوأت الكتابة النّسائية والنّسوية على حد سواء مكانة مرموقة في مسار السرديات العربية عامة، بسبب ما تقدّمه من قضايا تصور واقع المرأة في المجتمعات العربية المشرقية والمغاربية، ومن جملة القضايا التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية قضايا الزواج، والطلاق، والتّعليم، والعمل، والمعتقد، وغيرها من القضايا التي تلامس منقطة الخطر في نظر الثقافة الذكورية. ولعل أخطرها جميعا هي تلك القضايا التي لم يلتفت إليها خشية فضح المسكوت عنه. تحاول هذه الورقة البحثية التّطرق لبعض هذه القضايا في الرواية النّسائية اعتمادا على نماذج بعينها.

الكلمات المفتاحية: الكتابة – النّسائية– واقع– الصوت– الصمت.

Summary:

Women's and feminist writing alike have occupied a prominent position in the trajectory of Arab narratives in general, due to the issues they present that depict the reality of women in Arab societies of the Levant and the Maghreb. Among the issues that have imposed themselves on the literary scene are those of marriage, divorce, education, work, faith, and other issues that touch upon the danger zone in the eyes of male culture.

Perhaps the most serious of all are the issues that have been overlooked for fear of exposing the unspoken. This research paper attempts to address some of these issues in the women's novel, relying on specific models.

Keywords: writing - feminism - reality - voice - silence.

1-بسط معرفي لتيمة الصمت:

يعدُّ موضوع الصمت في الخطاب العام، والأدبي الخاص، من أكثر المواضيع إبهاما وغموضا، رغم رواجه الظاهر في مختلف أنواع الخطابات الأدبية، والسياسية، والدينية وغيرها... وقد ظلَّت الدِّراسات المهتمة به قليلة جدا على مستوى الإبداع العربي، إلا ما وجدناه على شكل مقالات، من مثل: دراسة الدكتور الراحل(محمد الباردي) الموسومة ب" الصَّمت في النَّص المفتوح، قراءة في رواية فردوس لمحمد البساطي"[1]، ودراسة الدكتور (محي الدين حمدي) المعنونة ب" مدخل إلى الصَّمت في النَّص السردي"[2] ، وألف الباحث السوري الشهير (إبراهيم محمود) كتابه الموسوم ب" جماليات الصَّمت في أصل المخفي والمكبوت"[3]،ونعتقد بأنها الدِّراسة الوحيدة التي تناولت موضوع الصَّمت بمنهجية في مجالات مختلفة؛ تناول فيها المباحث الآتية: بوعي الصَّمت، وهرطقة الصَّمت، وتصميت الأسطورة، ثم تصميت الجسد في المجتمع العربي الإسلامي إلى تصميت المرأة في المجتمع، فقراءة تنقيبية صامتة في عبارة (الله أعلم)،ثم علم اجتماع الصَّمت، وأخيرا من صمت الجواب إلى تصميت السؤال. إضافة إلى رسالة دكتوراه قدَّمها الباحث (بلقاسم مارس) سنة 2011، موسومة ب" الصَّمت في روايات محمد البساطي"[4].

---

[1] – نشر هذا المقال في مجلة الخطاب، العدد 15،

[2] – نشرت هذه الدراسة في مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد8.

[3] – مركز الإنماء الحضاري، دمشق، سوريا، ط1 ،2002.

[4] – دار رسلان للطباعة والنشر، ط1 ،2015

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على الإسهامات العربية المحتشمة التي قُدِّمت في هذا الموضوع. نقول هذا الكلام بكثير من الحذر العلمي، فقد تكون هناك دراسات أنجزت، ولم نتمكن من الاطلاع عليها.

أثبت الموضوع نفسه أهميته البالغة، وتأثيره في تفعيل مستويات الكلام ،والبلاغة العامة لدى النُّقاد الغربيين، ما دفعهم إلى دراسته ،والبحث في مظاهره ،ودلالاته ،وجمالياته الفنِّية التي يحققها إلى جانب الكلام، وهنا تجدر الإشارة إلى الدِّراسة القيِّمة التي قام بها "بيار فان دان هافال Pierre van den heuvel" الموسومة ب "Parole,mot,silence"[1] والتي اهتم فيها بإبراز دور الصمت وفاعليته في إنتاج الخطاب الروائي، بالإضافة إلى دراسة "ايروشي مينو Hiroshi mino" التي خصَّها بدراسة الصَّمت في كتابات "ألبير كامو Albert camus"[2].

ويمكن القول، أنَّ النُّقاد الغربيون كانوا سباقين في تناول موضوع الصَّمت، ودراسته دراسة منهجية؛ ولا يعني هذا– في الوقت نفسه – أنَّ العرب القدامى لم يتفطنوا له كظاهرة مصاحبة لكل خطاب مهما كان نوعه، وإنَّما وجدنا له حضورا على شكل شذرات متناثرة في كتب البلاغة العربية القديمة، وظلَّ الاهتمام به حكرا على المفهوم ودلالاته، على نحو ما نجد في رسائل الجاحظ، ومنها قوله:" الصَّمت في موضعه ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه، عند إصابة فرصته"[3].

ويعني هذا أنَّ الصَّمت ضرورة تلازم المقول من خلال وظيفته في موضعه الصحيح؛ حيث يصبح الصَّمت/السكوت أبلغ من الكلام/التَّلفظ، وهو ما أكدَّه (ابن المقفع) في تعريفه للبلاغة، بأنَّها" اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت(...) ومنها

---

[1] –Librairie José Corti,1985.

[2] –Le silence dans l'œuvre d'Aibert Camus,librairie josé corti,1987.

[3] – تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1 ، بيروت، رسالة المعاش والمعاد، ص113..

ما يكون جوابا."[1] فالبلاغة عنده لا تقتصر على الإيجاز في القول فحسب، وإنما تتجاوزه ليكون السُّكوت بلاغة وإجادة، ومادام في موضعه، فهو مطلوب.

كما أفرد له (الجرجاني) في كتابه "دلائل الإعجاز" فصلا كاملا ويصطلح على تسميته ب "الحذف"، ويقول فيه أنه" باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذِكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر."[2]وهذا ما يدل على استحسانه للصَّمت أو الحذف، وعده من البلاغة والإبانة.

2-الفرق بين الصمت والتصميت:

حرِّي بنا في – هذا المقام– التَّفريق بين مصطلحين اثنين: "الصَّمت" و"التَّصميت" ؛لأنَّ في اختلاف المعنى ،اختلاف في الوظيفة التي يؤديها، فالصَّمت" عملية خطابية واعية أو غير واعية تظهر داخل النَّص، وتحيل مباشرة على التلفظ"[3].إنه فعل اكتناز لمتلفظ ما في زمن ما لدواعي فنية؛ حيث يتحول هذا المتلفظ إلى خطاب آخر لكنه صامت يؤدي دلالته الفنية، وفاعليته التركيبية في النَّص من خلال الامتناع عن متلفظ وجب السُكوت عنه، وهكذا يتحول إلى استراتيجية نصية هامة، ذات فاعلية بنيوية وأخرى جمالية، لأنه يسهم بشكل أو بآخر في تشكل النَّص السردي، وإكمال بنائه المنهجي من ناحية اللغة، إنَّه" وجود غائب يثبت حضوره بغيابه. ووقوعه خارج اللغة لا يلغي صلته المتينة بها. وهو يتجلى في كل نص سردي، ومكانته متميزة في النصوص السردية الحديثة التي تتعمد السكوت تعمدا، فيغدو مكونا أُسًّا من مكوناتها

---

[1] – الحاجظ، البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الجزء1 ، ص166.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2 ،1997. ص121.

[3] – محمد الباردي، الصمت والنص المفتوح، قراءة في رواية فردوس ل محمد البساطي، مجلة الخطاب،ع15 ،ص49.

،تزيد دراسته إدراكا للخطاب السردي والوقوف على أن المعنى حصيلة متضادين، وهما القول وعدم القول"[1].

3-أنواع الصمت:

يتجلى الصَّمت في الخطاب السردي على صور مختلفة؛ فمنه ما يأتي في صورة من صور الرفض والامتناع؛ ونقصد به ،امتناع المتكلم عن تتمة الكلام تمردا ومواجهة، من خلال رفض التَّواصل والتَّحاور مع الذَّوات الأخرى، إمَّا لأنَّه أرفع درجة منها، أو تحدٍّ ظاهر في وجه السلطة الحاكمة؛ ونشير هنا – على سبيل المثال– إلى امتناع المناضلين عن الإدلاء بشهاداتهم وإفشاء أسرار زملائهم إبَّان الحروب– مهما تعرضوا للتَّعذيب والتَّنكيل– فيتحول الصَّمت في هذا المقام إلى قوة "وعلامة لا تعطى إلا لمن أوتي صبرا ،وعقلا، وحكمة، وسعة رؤيا."[2]

وأحيانا، يأتي الصَّمت في شكل عجز، وافتقار لغوي يعاني منه المتكلم؛ كالحُبسة مثلا، وهو ما سماه علماء البلاغة "عي صامت"، وهو أفضل وخير من "عي متكلم"، وكلاهما سواء كان تمردا أو عجزا، هو صمت واع مقصود من صاحبه. وأما ما يأتي بسبب الخوف والقهر، فهو ما اصطلح على تسميته "تصميت" أو "تسكيت"، والمقصود به ذلك الفعل الإجباري الذي يُخضع المتكلم لسلطته، فيجبره على التزام الصَّمت بأمر تخويفي ترهيبي، فيكون" توقيف الكلام اضطراريا، أو رغم أنف صاحبه، والإنسان المقهور لا يسكت إلا لأنَّه ملزم به، وهذا يعني أنَّ عملية السكوت تخرج عن نطاقها الفردي، لتؤكد حقيقتها القاموسية الميراثية، فهو غالبا لا يسكت لأنَّه يحب ذلك، بل يسكت لأنَّه يجبر على ذلك."[3]

---

[1] – محي الدين حمدي، مدخل إلى الصمت في النص السردي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع8.

[2] – إبراهيم محمود، جماليات الصمت في أصل المخفي والمخفي، مرجع مذكور، ص18.

[3] – المرجع نفسه، ص09.

4-تصميت الذّات الأنثوية في رواية "للجوع وجوه أخرى":

يتجلى هذا الصِّنف من التَّصميت، خاصة في كتابات المرأة العربية التي يتم تصميتها من قبل الأعراف والتقاليد التي تقوم مقام الجماعة الاجتماعية، أو الرقيب السياسي والدِّيني، للتَّكتم على حقيقة ما تتعرض له داخل المجتمع العربي، من تهميش وظلم وتجاوزات تمارسها السُّلط الذكورية ضدَّ الذَّوات الأنثوية الطامحة للتغيير وتحقيق وجودها. فيكون التَّصميت في هذه الحالة، صورة أخرى من صور الهيمنة النَّسقية التي تعمل على إخضاع المرأة وتغييب دورها في المجتمع. وهكذا أصبح "التَّصميت" يشكِّل "مؤسسة لها فرماناتها، وأوامرها، ونواهيها، ومواردها، وبنودها التَّأديبية والعقابية، تنطق بلامساواتية الأفراد، هي مؤسسة لا تفصح عن نفسها في صيغة عيانية، أي مؤسسة قائمة بذاتها، وإنَّما يشير التأسيس إلى عنصر الضبط الأخلاقي والاجتماعي."[1]

تلك هي الخلفية التي نتقصى من خلالها تصميت الذَّات الأنثوية في الكتابة الرِّوائية، من خلال رواية "للجوع وجوه أخرى"[2] للروائية اللِّيبية "وفاء البوعيسي"؛ حيث يعمل التَّصميت عمله في محاولة تغييب المرأة وإجبارها على الصَّمت والكتمان ، مرة باسم الأخلاق والأعراف، وأخرى باسم الدِّين والمعتقد، وينتج ذلك التَّصميت وجعا داخليا تعاني منه الذَّات الساردة على امتداد صفحات الرواية. ويحوِّلها من شخصية سوية إلى شخصية مقهورة غير سوية، تتحين الفرص للخروج من صمتها دون أن تنجح في ذلك، تقول" كنت شديدة الانكماش على نفسي بسرعة، قليلة الكلام ميالة إلى الانسحاب عند أول مشكلة، وبذا صرت أقضي جل وقتي وحيدة في غرفتي، غرفتي التي تحولت إلى ملاذي وسجني."[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص 11/10.

[2] – منشورات مجلة المؤتمر، بنغازي، ليبيا.، ط1 ،2006

[3] – الرواية، ص22.

بدأت الذَّات الساردة بالانكماش على نفسها واختارت العزلة في غرفتها منذ أن فقدت والدتها بالتَّبني؛ حيث جرها ذلك الفقد إلى الإحساس بالوحدة والضياع، فكان الصَّمت حليفها كل الوقت، ذلك الصَّمت الذي أدَّى بها إلى الخروج عن النَّسق العام للبيئة العربية، وخرقت الطابو بأنواعه، رفضا للتغيير الذي طرأ على حياتها، وأكثر ما زاد من قهرها، هو حضور الزَّوجة الجديدة التي قلبت حياتها رأسا على عقب، وأجبرتها على العيش في صمت طول الوقت، لا تناقش ولا تعارض أوامرها.

قامت الزوجة الجديدة بتصميت الذَّات الساردة منذ أول قدوم لها، وذلك بإجبارها على البقاء في غرفتها وحيدة طول الوقت، بلا صديقة ولا أنيس تحدثه، واستمتعت بإذلالها وإهانتها، تقول "كم كان يشعرني كلامها ذاك بالوحدة، الوحدة القاسية التي كابدتها منذ كنت طفلة، كان كل الأطفال يمرحون ويلعبون وينطلقون وحدي كنت الغريبة والمقصية بينهم."[1]

لا تمارس البطلة صمتها في هذه المرحلة بوعي وإدارك، بل لأنها ملزمة به ومجبرة عليه، فهي تدرك جيدا وضعها في ذلك البيت، وتعرف مآلها إن حاولت الخروج عن صمتها، إنَّه صمت ناتج عن الخوف والتهديد في الآن معا." فهناك في أعمق أعماق الوعي، يكمن صمت ما، هو صمت فاعل، يمارس تأثيره في الأشياء، إنَّه صمت ينتظر لحظة الإفلات والانفلات سواء، من خلال دعامة ذاتية، فالصَّامت لا يستمر طويلا في صمته، إذ لابد أن ينتظر ظرفا ما، يخترق المحظور، أو يتهيأ للكلام، ويفصح عن نفسه."[2]

وقد كان ذلك وضع البطلة في هذه الرواية، فرأيناها تتحين الفرص للإفصاح، لكنها كانت في كل مرة تفشل، يفعل الخوف فعله كلما حاولت أن تواجه، أو تعلن رفضها، ولم تجد طريقة تعلن من خلالها تمردها على ذلك الوضع إلا أن تتمرد على نفسها أولا، وعلى الأخلاق ثانيا، وبلغ بها اليأس حدَّ التَّمرد على الدِّين، واعتناق المسيحية، تقول" عندما نعدم الحيلة

---

[1] – الرواية، ص33.

[2] – إبراهيم محمود، جماليات الصمت، ص16.

ونجرب كل الحلول، ولا نصل إلى مطلب هو غاية في العدالة والأهمية، ينزاح الإيمان من صدورنا، يفسح مجالا لليأس كي يتسلل بقوة إلى نفوسنا، سنبحث حينها عن حقيقة تقنعنا، عن يقين نرتاح له بعلة ما نعاني، عن جدوى ما نفعل فلا يفضي لشيء."[1]

يشير هذا المقطع عن خطورة الوضع في ظل تصميت الذَّات، وإبعادها عن مجال المحاورة والتَّواصل الاجتماعي، فالأمر لم يعد مجرد إحساس بالقهر والوحدة، بل تعداها إلى تجاوز المحظور، والاعتداء على النَّفس والهوية والدِّين، ولم يكن أمامها غير التَّمرد في صمت، والاقتناع بالصَّمت الذي تحوَّل فيما بعد إلى حالة اعتيادية، وهو ما تجلى من خلال قولها "آثرتُ الصَّمت، لم أشعر بأني أخطأت يوما بعدم مصارحة بابا بما يحدث معي، فهو منقاد لها، ولا يمكن أن يصدقني حتى إنني اعتدت الاستمرار بصمت في حياتي"[2].

وتظهر إشكالية أخرى ساعدت على استفحال فعل تصميت الذَّوات الأنثوية سواء في المجتمع أو في الكتابة السَّردية، وهي أشدُّ وأخطر من إشكالية الصَّمت نفسها، إنَّها (ثقافة الصَّمت) وتعني تلقين الذَّات الأنثوية لثقافة الصَّمت والخضوع منذ الصغر، مرة باسم الدِّين، وأخرى باسم العادات والتقاليد "والمصيبة المضحكة /المبكية أنَّ هؤلاء المقهورين، يشكلون القسم الأكبر ممن يمارسون في إجهاضها أو منعها من الإفصاح عن الحقيقة الحقَّة."[3] فقد أصبح التَّرويج لثقافة الصَّمت شيء مطلوب، ويتم توريثه من جيل إلى آخر، كأنَّه أمر بديهي، وأصبح التَّعامل معه هينا في كل حالاته، والشيء نفسه قامت به الذَّات السَّاردة في هذه الرواية، حيث أصبح الصَّمت قدرها الذي اختارته، بعد فشل كل محاولاتها للخروج من خوفها وصمتها، كما

---

[1] – الرواية، ص31.

[2] – الرواية، ص52.

[3] – جماليات الصمت، ص12.

طلب منها حبيبها قائلا:" السكوت غير مجدٍّ، المواجهة والصدام أحيانا تقدم لنا حلا، تكلمي، قولي، ارفضي ما أنت فيه، ثوري على هذه المرأة، لا تدعيها تتحكم بك، وأنا معك يا محبوبتي."[1]

يشير هذا الكلام إلى مساندة الرجل لحبيبته ورغبته في تخليصها من ضعفها وخوفها، لكن عبثا يحاول، لقد أصبح الصَّمت رغبة تلح على الذَّات السَّاردة في تعاملها مع زوجة والدها ، من أجل تجنب المشاكل والمشاحنات. وقد اختارت الكاتبة هذا الدَّور السلبي التَّعتيمي للذَّات السَّاردة، لتبين من خلاله كيف يتم تصميت المرأة في المجتمع، بل إنَّ ذلك قد يحدث من قبل المرأة نفسها، بدافع الانتقام والغيرة. فيتحول النَّص السَّردي في ظلِّ هذا التّصميت الذي يمارس على الذَّات السَّاردة إلى مظهر من ماهر الانفتاح النَّصي على تأويلات أخرى يقدمها القارئ المفترض، فالنَّص" ليس مجرد أداة تستعمل للتَّصديق على تأويل ما، بل هو موضوع يقوم التَّأويل ببنائه ضمن حركة دائرية تقود إلى التَّصديق على هذا التأويل من خلال ما تتم صياغته نتيجة لهذه الحركة." [2]

يتحول الصَّمت – بناء على هذه الرؤية – إلى ظاهرة فنِّية جمالية، وعملية خطابية واعية، يقصدها الكاتب ويوظفها في صور مختلفة، كالبياضات، ونقاط الحذف، وصمت الشخصيات، ورفضها القيام بأي رد فعل تجاه الشخصيات المعتدية، ويسهم كل ذلك في انفتاح القارئ على النَّص، وقراءته من جوانب مختلفة، وهذا ما يجعل منه(الصَّمت) عملية إبداعية لا تقل أهمية عن عملية التَّلفظ، ويصبح هذا الأخير شيئا مرئيا من خلال اللغة المكتوبة، وهذا المرئي نفسه لا يكتسي وجوده وأهميته إلا من خلال لغة الغياب واللامرئي، بتعبير "ريلكه"[3].

---

[1] – الرواية، ص97.

[2] – امبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب،ط1 ،1996،ص63.

[3] – Pierre Van Den Heuvel ,Parole ,Mots ,Silence ,Pour une poétique de l'énonciation, Librairie José Corti,1985,pp69.

تكمن أهمية الصَّمت في علاقته بالمتلفظ في كونه يمنحه مساحة أوسع للظهور والبروز، فلولا صمت الأول لما برز كلام الثاني، فالكلام" يكون (للآخر) يعُطى له كمنظومة صوتية تخلق معنى، إنَّه يجرده من حضوره الذَّاتي، ومن ثم يخرجه من حدوده الشخصية، ويضعه في (ساحة الآخر) ويخضعه لحكمه."[1] وبالتالي يكون الصمت ملازما للكلام، وحاضر معه في العملية التواصلية، بل ويسهم بقدر كبير في نجاحها.

5-بين الصمت الواعي والتّصميت الإجباري:

اشتغلت (وفاء البوعيسى) في روايتها (للجوع وجوه أخرى) على توظيف الصَّمت في اتجاهين مختلفين؛ الأوَّل: صمت واع اختارته الذَّات السَّاردة خوفا ورهبة من الزوجة الجديدة، وتدور أحداثه في مصر، وهو كان إقامتها مع خالها الذي تبناها رغما عنها وعن أهلها.

والآخر: تصميت إخضاعي أُجبرت على ممارسته والالتزام بقواعده حفاظا على التَّقاليد التي تحكم مجتمعها الذكوري، وتدور أحداثه في ليبيا بعد عودتها إلى أهلها. نمطان من الإذلال والتَّصميت عانتهما الذَّات الأنثوية في مجتمعين مختلفين، بعد أن فوجئت بنسق تقليدي بال يجعل المرأة أدنى مرتبة من الرجل، ويتخذ من الدِّين حجة واهية لتدجينها، وإجبارها على الصَّمت في أمور تخصُّها وحدها.

وهذا ما أدى إلى ظهور خطاب ذكوري معادي ومنكر للذَّات الأنثوية، على نحو ما يظهر في الرواية، قول أخيها" نحن شعب محافظ، تربينا بطريقة محافظة تخجل فيها البنت من الحديث مباشرة عن موضوع زواجها. ثم إننا نخاف على المرأة كثيرا ونخشى من أن تتعرض لمكروه أو تهان أو يساء إليها، لذلك نمتنع عن تزويجها من شخص ليس من جنسيتها، لذا اعلمي أن زواجك منه مرفوض."[2]

---

[1] – إبراهيم محمود، جماليات الصمت، ص17.

[2] – الرواية، ص142.

هكذا يتم تدجين الذَّات الأنثوية، وتلقينها الصَّمت بناء على عادات وتقاليد تجتهد كثيرا في ظلم المرأة وتشييئها، بحجة أنها امرأة، تقول:" يومها عاودني ذلك الشعور الذي ظننته غادرني منذ حطَّت قدمي أرض ليبيا، وطني"[1]. ولعل أبسط ما يخلِّفه تصميت ذات المرأة، هو إحالتها إلى شخصية مقهورة، تفكر بسلبية، وتمارس حياتها بسلبية مطلقة، مادامت طموحاتها وأحلامها تصنَّف ضمن قائمة الممنوع" فكل ممنوع ، هو بشكل ما ملحق بالصَّمت، الصَّمت العدمي والمعدوم." [2]

إنَّ التَّصميت المقنن لشخصية الذَّات السَّاردة في الرواية، أفضى بها إلى التفكير في الانتحار والموت بصمت كما شاء لها الآخرون، وفي صمت راحت تخطط لشنق نفسها" أنتبه لسطح خزانتي، إنَّه مرتفع حقا، في حاشيته عمود ممتد للأمام، تُعلَّق عليه بعض الأغراض، أحضر كرسي طاولة الزينة، أقف عليه، بالكاد ألمسه، يبدو لي عاليا وشديد الصلابة، بقي أن أعثر على الحبل..."[3] ولكن حتى تلك المحاولة باءت بالفشل. صمتت الذات الساردة في هذه الرواية عن معلومات هامة ، لكن عدم البوح بها كان أهم من أن يتلفظ بها، ذلك أنها اختارت تسريع أحداث الرواية من أجل الوصول بها إلى نهاية مفتوحة، قابلة لتأويلات مختلفة، ويمثل الامتناع عن الكلام في بعض المواقف من أحداث الرواية، ما أسماه (جيرار جنييت) ب"الحجب السردي Paralipse"، ويتمثل في هذا النَّص ،في حجب الكاتبة لموقف خال البطلة من عودتها مع أهلها وانتقالها للعيش في ليبيا بعد أن أمضت أكثر من عشر سنوات في بيته في مصر، ومثلها صمت الكاتبة في نهاية الرواية عن البوح بموقف أهلها إثر علمهم بزواجها من ورائهم، بل اكتفت بسرد جملة واحدة على لسان والدها" أختك متزوجة دون علمنا يا "علاء.""[4]

---

[1] – الرواية، ص145.

[2] – إبراهيم محمود، جماليات الصمت، ص17.

[3] – الرواية، ص 179.

[4] – الرواية،187.

حيث تترك هذه العبارة تساؤلات عدَّة حولها كنهاية مفتوحة، تحمل القارئ على محاولة إيجاد تخريج وتأويل يليق بأحداثها.

على سبيل الختام:

*استطاعت الكاتبة أن تخترق النَّسق الثقافي الذي يتحكم في المجتمع العربي بصورة عامة، وخرجت على نظامه القائم تبعا لعادات وتقاليد بالية تحكمه منذ الأزل، ومارست البوح باستنطاقها لوضع المرأة في المجتمع العربي عامة، واللِّيبي خاصة، وكشفت عن أسرار ظلت حبيسة مجتمعها المنغلق، تُدينه من خلالها، وتفضح الوضع الذي تعانيه المرأة في ظلِّ عمليات التَّصميت والكبت التي تفرض عليها، وأشارت بوضوح إلى فعل ثقافة الصَّمت التي تُلقن للذَّات الأنثوية في المجتمعات العربية ،وكيف تتنازل النِّساء عن حياتهن وأحلامهن في ظل تلك الثقافة الظالمة.

*أسهم حضور الصَّمت في السَّرد الروائي كثيرا في تفعيل أحداث النَّص وإعطائه مساحة أوسع لتأويل حيثياته، وقراءته قراءة ثقافية تنِّم عن وعي الكاتبة بها.

* يحقق الصَّمت غاياته الجمالية في السَّرد الروائي بطريقة متفاوتة، فوجدناه في هذا النَّص السَّردي كمحفز يعمل على تفعيل أحداث الرواية وتشكيل حبكتها.

قائمة المراجع والمصادر:

1-وفاء البوعيسي، للجوع وجوه أخرى، منشورات مجلة المؤتمر، بنغازي، ليبيا، ط1 ،2006.

2-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2 ،1997.

3- الجاحظ، الرسائل، رسالة المعاش والمعاد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1 ، بيروت، لبنان.

4- الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،ج1.

5-إبراهيم محمود، جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، سوريا، ط1 ،2002.

6- بلقاسم مارس، الصمت في روايات محمد البساطي، دار رسلان للطباعة والنشر،ط1 ،2015.

7- محمد الباردي، الصمت في النص المفتوح، قراءة في رواية فردوس لمحمد البساطي، مجلة الخطاب،ع15.

8- محي الدين حمدي، مدخل إلى الصمت في النص السردي، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة،ع8.

9- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النُّصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ،1996.

10- Pierre Van Den Heuvel,Parole,Mots,Silence,Pour une poétique de l'énonciation, Librairie José Corti,1985,pp69.

11-Hiroshi Mino,Le Silence dans l'œuvre d'Alber Camus,Librairie José Corti,1987.